آيـــات الخفـــاء فـــي القـــرآن الكريـــم

د. سمية حسين الفاضل الأمين•

ملخـــــص

يهدف هذا البحث لبيان معنى الخفاء في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، وحصر الآيات التي تحدثت عنه ، ثم تفسيرها واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي والاستقرائي وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي تناولت موضوع الخفاء وتعود أهمية البحث إلى بيان معنى الآيات وبيان معني الخفاء في اللغة والاصطلاح في القرآن الكريم وتحديد آيات الخفاء في القرآن الكريم، وفي المبحث السادس آيات الخفاء، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها:أَنَّ للخفاء في القرآن الكريم معاني لُغوية كثيرة. كما بلغ عدد الآيات التي تناولت لفظ الخفاء (ثلاثون آية). وأوصى بإفراد بحث للمعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم.

Abstract

This research aims to clarify the meaning of the (khifa); concealment in the Arabic language and the Holy Qur'an, and to limit the verses that spoke about it, then interpret them. The researcher adopted the descriptive and inductive method through extrapolating the Quranic verses that dealt with the subject of concealment. The importance of the research is due to the clarification of the meaning of the verses and the meaning of the (khifa); concealment in the language and term in the Holy Qur'an, and identifying the verses of the concealment in the Holy Qur'an, in the sixth topic the verses of concealment . The research reached a number of results, the most important of which were: (khifa); concealment in the Noble

• أستاذ المساعد بكلية اللغة العربية – جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم .

Qur'an has many linguistic meanings. The number of verses that dealt with the term concealment are (thirty verses). The researcher recommended researching the linguistic meanings of concealment in the Holy Qur'an.

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، تدليلاً على صدق نبوته، فهو مورد العلماء، فيه كل العلوم والمعارف والثقافات، فهو معين لا ينضب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. فهو لصيق الصلة بحاجات العصر، ومتطلبات الثقافة، وهو دستور الحياة البشرية العامة والخاصة.

ويُعد موضوع الخفاء من الموضوعات المهمة في الشريعة الإسلامية، لما له من المعاني الكثيرة في القرآن الكريم ، تصريحاً، أو تلميحاً، أو إشارة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- لتعلقه بأشرف وأجل الكتب وهو القرآن الكريم.

٢- لكثرة معاني الخفاء في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من خلال ارتباطه بالقرآن الكريم، وإبراز معاني الخفاء في اللغة والقرآن، وحصر الآيات القرآنية التي تحدثت عنه.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة لتحقيق ما يلي:

١- معرفة معاني الخفاء في اللغة العربية والقرآن الكريم.

٢- حصر آيات الخفاء في القرآن الكريم وتفسيرها.

منهج البحث:

اتبعت المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي والتحليلي لجمع آيات الخفاء في القرآن الكريم.

حدود البحث:

تتمثل الحدود الموضوعية للبحث في آيات الخفاء في القرآن الكريم.

أسئلة البحث:

يمكن صياغتها في الآتي:

١- ما معنى الآيات لغةً واصطلاحاً؟ .

٢- ما معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً ؟

٣- ما المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم؟

٤- ما معنى القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً ؟

٥- ما آيات الخفاء في القرآن الكريم؟

مصطلحات البحث:

١- آيات: الآية هي : طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها.

٢- الخفاء: هو ما خفي المراد منه بعارض في غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب، كآية السرقة فإنها ظاهرة

٣- القرآن الكريم: هو الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

الدراسات السابقة:

وقفت على دراسة بعنوان: الخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة، بحث تقدمت به الطالبة: نبأ جايش كطان الجبوري، وهو جزء من متطلبات نيل شهادة البكالوريوس إلى قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية، إشراف: م.م: باقر فليح ، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

تحدثتْ فيه عن مفهوم الخفاء في اللغة والاصطلاح، والموارد القرآنية لمفهوم الخفاء، وموارد الخفاء في نهج البلاغة، والخفاء بين القرآن الكريم ونهج البلاغة.

وقد اتفقت الدراستان في تناولهما في تعريف الخفاء في اللغة والاصطلاح فقط، واختلفتا في أن الدراسة الحالية اهتمت بمفهوم الخفاء في آيات القرآن الكريم وتفسيرها.

هيكل البحث:

قسّمت البحث إلى خمسة مباحث:

المبحث الأول: **معنى الآيات لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الثاني: **معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الثالث: **المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم.**

المبحث الرابع: **معنى القرآن الكريم لغةً واصطلاحاً.**

المبحث الخامس: **آيات الخفاء في القرآن الكريم.**

المبحث السادس: **تفسير آيات الخفاء.**

المبحث الأول

معنى الآيات لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى الآيات لغةً:

الآية: العلامة[1]، وتقديرها (فَعْلَةٌ). قال الخليل: إنّ الألف التي في وسط الآية من القرآن، والآيات العلامات هي في الأصل : ياء، فلو تكلفت اشتقاقها من (الآية) على قياس علامة معلمة لقلت: آيةٌ مأياة قد أيَّيْتُ[2].

وأصل آيةٍ أَوْيَة بالتحرك، قال سيبويه : موضع العين من الآية واو ؛ لأنّ ما كان موضع العين منه واو واللام ياء أكثر مما موضع العين واللام منه ياءان، وتكون النسبة إليه أووى. وجمع الآية آي وآياي وآيات وآية الرجل: شخصه، تقول منه: تآييته على تفاعلته، وتأييته على تفعلته، إذا قصدت آيته وتعمدته. يروى بالمد وبالقصر[3].

وذكر الزرقاني أنّ الآية تطلق في لسان اللغة بإطلاقات عدَّة:

أولها: المعجزة. ومنه قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ [البقرة: ٢١١]، أي : معجزة واضحة: تقول العرب: (خربت دار فلان وما بقي فيها آية)، أي علامة وكأنَّ كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[4].

ثانيها: العلامة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، أي علامة ملكه.

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٢٢/٣٧.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٤٤٢/٨ ، مقاييس اللغة ، ابن فارس ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، باب (أيي) ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ١٦٨/١.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، ٢٢٧٦/٦.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية بمصر، عيسى البابي الحلبي وشركاءه ، ٢٦٦/١.

ثالثها: العبرة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمران: ١٣]، أي عبرة لمن يعتبر.

رابعها: الأمر العجيب، تقول العرب: (فلان آية في العلم وفي الجمال)، قال الشاعر:

آيةٌ في الجمال ليس له في الـ

حسن شِبْهُ وما له من نظير

فكأنَّ كل آية عجب في نظمها والمعاني المودعة فيها[١].

خامسها: الجماعة، ومنه قولهم: (خرج القوم بآيتهم) أي بجماعتهم، والمعنى أنهم لم يدعوا وراءهم شيئاً. قال أبو عمرو: ومعنى الآية من كتاب الله تعالى: جماعة حروف[٢].

سادسها: البرهان، والدليل نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، والمعنى: أنه من براهين الله واقتداره واتصافه بالكمال خلق عوالم السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان[٣].

ونستنتج من هذا أنَّ الآية في اللغة تأتي بعِدَّة معاني منها: العلامة والمعجزة والعبرة والأمر العجيب، والجماعة، والدليل والبرهان. والمعنى الأكثر شيوعاً من هذه المعاني هو العلامة.

ثانياً: معنى الآية اصطلاحاً:

قال الجعبري: (حد الآية قرآنٌ مركب من جمل ولو تقديراً ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة).

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط٣، ١/٣٣٩.
(٢) المرجع السابق – ٦/٢٧٦.
(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ١/٣٣٩.

وقال غيره الآية هي: (طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها)[1].

وكلها تدور في معنىً واحد.

المبحث الثاني
معنى الخفاء لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى الخفاء لغة:

نرجع لفظ الخفاء إلى جذرها الثلاثي وهو الفعل (خ ف ي) الخفي: مصدر خفيت الشيء أخفيه إذا أظهرته واستخرجته، وأخفيته إذا استترته[2].

ويقول صاحب كتاب المصباح المنير : (خفي الشيء (يَخفى) خفاءً بالفتح والمدّ استتر أو ظهر فهو من الأضداد، ، وبعضهم يجعل حرف الصلة فارقاً فيقول: (خفي) عليه إذا استتر، و(خفي) له إذا ظهر فهو (خَافٍ)، و(خَفِيٌّ) أيضاً ويتعدى بالحركة فيقال (خَفَيْتُهُ) (أَخْفِيه) من باب رمى إذا استترته وأظهرته، وفعلته وخِفْيَّة) بضم الخاء وكسرها ويتعدى بالهمزة فيقال (أَخفيتُه)، وبعضهم يجعل الرباعي للكتمان والثلاثي للإظهار، وبعضهم يعكس، واستخفى من الناس استتر، و(أخفيتُ الشيء استخرجته ومنه قيل لنبَّاش القبور (المختفي) وكذلك قال ثعلب: (استخفيتُ) منك أي: تواريت ولا تقل (اختفيتُ) ، وقال الفارابي : (اختفى) الرجل البئر إذا احتفرها و(اختفى) استتر. واختفيت إنما الاختفاء الإظهار. فاستخفيت وتواريت بمعنى واحد ، إذا

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٢٦٩/١ .

(٢) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن جرير الأزدي، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م ، بيروت ، ٦١٨/١.

اختبأت ولم تظهر[1].

وقال بعضهم: الخفاء: المتطاطئ من الأرض الخفي. وقال بعضهم: الخفاء هنا السر[2].

وقال ابن منظور الخِفاء بالكسر: هو الكساء، وكل شيء غطيت به شيئاً فهو خفاء[3]، وفي الحديث: (إنَّ الله يحب العبد التقي الغني الخفي)[4].

والخفي: هو المعتزل عن الناس يخفى عليهم مكانه، وفي حديث الهجرة: (أخف عنا)[5]، أي: استر الخبر لمن سألك عنا. وفي الحديث: (خير الذكر الخفي)، أي: ما أخفاه الذاكر وستره عن الناس[6].

وقال ابن فارس: (خفي) الخاء والفاء والياء أصلان متباينان متضادان، فالأول: الستر والثاني: الإظهار.

ويقولون : بَرِحَ الخفاء، أي وضح السر. ويقال للرجل المستتر مستخف[7].

ومن هذه المعاني اللغوية اتضح أن معاني الخفاء تدور كلها حول الستر والكتمان وأحياناً تأتي بمعنى الظهور.

ثانياً: معنى الخفاء اصطلاحاً:

عرّف العلماء الخفاء بتعريفات كثيرة أذكر منها:

(١) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية ، ٩٤/١ .

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١،١هـ -٢٠٠٠م ، ٩٤/٤.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ، ٣٤/١٤.

(٤) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي ، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ط٢ ، ١٠٤/١.

(٥) المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، كتاب الهجرة، حديث رقم (٤٢٦٩)، ٧/٣ .

(٦) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، باب ذكر البيان بأن ذكر العبد ربه، حديث رقم (٨٠٩) ، ٩١/٣.

(٧) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٠٢/٢.

أولاً: الخفاء في اصطلاح القرَّاء هو: (خفاء الصوت عند النطق بأحرفه) وحروفه أربعة هي:

أ- حروف المد الثلاثة وهي: الألف، والواو، والياء، السواكن المجانس لها ما قبلها من حركة وسميت خفية لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها.

ب-الهاء: وسبب خفائها اجتماع ست صفات للضعف بها ولخفائها قوَّوها بالصلة الكبرى والصغرى[1].

أو هو (خفاء صوت الحرف واستتاره عند النطق لضعفه)[2].

هو : (نطق حرف بصفة هي بين الإظهار والإدغام عارية من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول عند غيره لا في غيره)[3].

ثانياً: عرَّفه أبو الحسن والجرجاني بأنه:(ما خفي المراد منه بعارض في غير الصيغة لا ينال إلا بالطلب، كآية السرقة فإنها ظاهرة)[4].

المبحث الثالث

المعاني اللُّغوية للخفاء في القرآن الكريم

أتى لفظ الخفاء في القرآن الكريم بمعانٍ كثيرة أذكر منها:

١- التغابن: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، تفاعل من الغبن كتواضع والغبن أخذ الشيء بدون قيمته ومادة (غبن) تدور على الخفاء. وقيل: الغبن الخفاء ومنه غبن البيع لاستخفائه.

(١) الميزان في أحكام تجويد القرآن الكريم، فريال زكريا السيد، دار الإيمان- القاهرة، ص ٨٦.

(٢) القول السديد على التجويد، على الله بن علي أبو الوفاء، دار الوفاء-المنصورة، ط٣، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م- ص ١٧٦.

(٣) الكشاف في اصطلاحات الفنون، محمد التهاوني، ص ٣٥٩.

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، المحقق: صفوان عدنان الداوودي ، دار القلم ، والدار الشامية ، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ ، ص ٢٨٩.

وسمّيت الغابة لأنها تخفي لاكتظاكها بالأشجار والغبن: الخفاء من الأرض[1].

٢- السِّر وذلك في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً﴾ [النحل: ٧٥]، أي: ينفق ماله في الخفاء والعلانية[2].

٣- السحر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]. والسحر حيلة يخفى سببه حتى يوهم وتجزع كالمسحور المخدوع، والآخر: تغذى وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء، ما تعلق بالحلقوم، وهذا أيضاً يرجع إلى معنى الخفاء ومنه قول عائشة رضي الله عنها: (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْري ونحري)[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣]، وقيل: أصل السحر الخفاء، فإن الساحر يفعله في خفية وقيل أصله الصرف[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، (بِالأَسْحَارِ): جمع سحر كفرس وأفراس: أواخر الليل، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء[5].

٤- الهمس، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨].

(١) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، أعده للشاملة: أبو إبراهيم حسانين، ١٠٨/١٠، ١٠٩.

(٢) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١: ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م، ٢/ ١٢٦.

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٦١٩/٣، اللباب في علوم الكتاب، ٣٢٨/٢.

(٤) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، تحقيق: أحمد البردوس وإبراهيم أطيفش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م، ٤٤/٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ٤٧٢/١.

والهمس يطلق في اللغة على الخفاء، فيشمل خفض الصوت وصوت الأقدام[١]، كصوت أخفاف الإبل في الأرض التي فيها يابس النبات[٢].

وأصله: الصوت الخفي، يقال: همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسره وأخفاه وقال: تخافت الكلام[٣]. وقيل: الهمس تحريك الشفة أو اللسان.

وقال الزمخشري: الهمس: هو الركز الخفي[٤].

وبناء (هـ م س) أصله الخفاء كيفما تصرَّف، ومنه الحروف المهموسة، وهي عشرة يجمعها (حثه شخص فسكت)، وإنما سمّي الحرف مهموساً لأنه ضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس[٥]. والهمس في الأصوات استعارة بمعنى الخفاء[٦].

٥- العماء، قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]. (فَعَمِيَتْ) أي خفيت، ويقال للسحاب عماء؛ لأنه يخفى ما فيه[٧]. وهو حرف تتعدى به الأفعال الدالة على معنى الخفاء، مثل: خفي عليك.

والتعبير بعميت مخففة ومشددة أبلغ من التعبير بخفيت وأخفيت، لأنه مأخوذ من العمى المقتضي لأشد أنواع الخفاء[٨].

٦- الخبء، في قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]، والخبء هو مصدر خبأ

(١) الأساليب والاصطلاحات العربية، أبو المنذر المناوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص٨٧.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٠٠/٤.

(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ - ٢٠٠٠م، ١٦٨/١٦.

(٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ٣٨٤/٧.

(٥) تفسير القرطبي، ٢٤٧/١١.

(٦) بحر العلوم، السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ود. زكريا عبد المجيد، دار الفكر، بيروت، ٤١٢/٢.

(٧) البحر المديد، أبو العباس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ - ٢٧٢/٣.

(٨) المرجع نفسه، ٦٤/١٢.

الشيء إذا أخفاه. أطلق هنا على اسم المفعول، أي المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء، كما هو شأن الوصف بالمصدر. ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ لحالة خبر الهدهد ظاهرة لأن فيها اطلاعاً على أمر خفي[1].

٧- الرِّكز، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [مريم: ٩٨]، (رِكْزاً) أي: صوتاً خفياً، والمعنى: أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد، ولا يسمع لهم صوت خفي ولا جلي وأصل الرّكز: الخفاء، ومنه رَكَز الرمحُ؛ إذا غيّب طرفه في الأرض، والركاز: المال المدفون المخفي[2].

٨- السُّرَى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [الفجر: ٤].

السرى في العربية: السير عامة الليل، وفي دَلالته اللُّغوية الأولى بمعنى الخفاء[3].

٩- الإغماض: وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، الإغماض في اللغة غض البصر، وإطباق جفن على جفن، وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال هذا الكلام غامض، أي: خفي الإدراك، والغمض المتطامن الخفي من الأرض[4].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، ١٩٩٧م، ١٩/٢٥٥.

(٢) البحر المديد، ٤/٣٧٣، تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ٤/٢١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥/٢٨٤.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ٢/١٣٢.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ٧/٥٥، اللباب في علوم الكتاب، أبو جعفر الدمشقي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ٤/٤١٣.

١٠- الوحي وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]، والوحي: يدور معناه على الخفاء والسرعة. وهو ما يلقى إلى الأنبياء من عند الله وفيه معنى الخفاء والسرعة[١].

١١- الضلال وذلك في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ﴾ [الفاتحة: ٧]. الضلال: هو الخفاء والغيبوبة ، وقيل الهلاك[٢].

١٢- الغمة وذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]، فإن استتر وخفي عليكم الهلال وحال دون رؤيتكم له حائل من غيم أو ضباب فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً أي: أجمعوا ما تريدون جمعه من مكرٍ وكيدٍ واستعينوا على ذلك بشركائكم ثم لا يكن أمركم الذي أجمعتم علَى تنفيذه فيه شيءٌ من الستر أو الخفاء[٣].

١٣- الوسواس وذلك في قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]. وأصل هذه الكلمة دائر على معنى الخفاء والعرب تسمي حركة الحلي وسواساً[٤]، وهذا المعنى واضح في المراد هنا؛ فإنَّ الموسوس من الجن في نهاية الخفاء هو وعمله، والموسوس من الإنس يتحرى الإخفاء ما استطاع ويحكم الحيلة في ذلك، ولا يرمي رميته إلا في الخلوات[٥].

(١) التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٣هـ ، ٧٥٨/٣.
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، ٧٦/١.
(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الفجالة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ١٠٥/٧.
(٤) ومنه قول الأعشى: تسمعُ للحلى وسواساً إذا انصرفت ×× كما استعان بريح عشرق زجلُ. (انظر : لسان العرب، ٢٢٥/٢ ، مادة وسس).
(٥) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (تفسير ابن باديس) ، عبدُ الحميدِ محمد بن باديس الصنهاجي ، المحقق: علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص ٣٨٣.

وذكر ابن فورك أنَّ الوسواس هو: حديث النفس بما هو كالصوت الخفي، وأصله الصوت الخفي . (والخناس) الكثير الاختفاء بعد الظهور يقال : خنس يخنس خنوساً[1].

١٤- الجِنَّة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٦]، (الْجِنَّةِ) جمع جن وهم المخلوقات غير المنظورة من ملائكة وجن وأصله من الخفاء وعدم الظهور، ومنه الجنين الذي في رحم الأم، ومنه الجنون، لأنه يستر العقل ويغطي عليه، ومنه المجن وهو الترس، الذي يستر به المحارب مواطن القتل منه، عن عدوه[2]، وعلى اعتبار أنّ كلمة الجن التي تعني الخفاء[3].

١٥- الضلال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]، الضلال: هو الخفاء والغيبوبة، وقيل : الهلاك[4].

١٦- السر وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، والسر: الخفاء ، والعلانية الجهر والظهور[5].

١٧- العزوب أو البعد: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، وهو مجاز هنا للخفاء وفوات العلم، لأنَّ الخفاء لازم للشيء ، ولذلك علق باسم دون صف

(١) تفسير ابن فورك ، محمد بن الحسن بن فورك ، دراسة وتحقيق: ملاك عبد القادر بندويش ، (ماجستير) ، جامعة أم القرى ، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م ، ٣٠٨/٣.

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب ، دار الفكر العربي – القاهرة ، ١٠٣٨/١٢.

(٣) التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة، ط ١٣٨٣هـ، ١٣٠/٤.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي ، ٧٦/١.

(٥) التحرير والتنوير ، ابن عاشور، ٧٧/٣.

العلم فقال:(عن ربك)[1]. والعزوب: الخفاء. و(يَعْزُبُ) معناه: يغيب حتى يخفى، حتى قالوا للبعيد عازب ، وقيل للغائب عن أهله عازب ، حتى قالوه لمن لا زوجة له[2].

١٨- الغيب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٣]، قوله (بِالْغَيْبِ) قال الزمخشري : يجوز أن تكون الباء ظرفية، أي: بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة . ويجوز أن تكون الباء للحال: إما من الفاعل على معنى: وأنا غائب عنه خفي عن عينه، وإما من المفعول على معنى: وهو غائب عني خفي عن عيني، وهذا من كلام يوسف[3].

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥]، والغائبة : استعمل الغيب في الخفاء مجازاً مرسلاً[4] الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس[5].

وبعد الرجوع إلى القرآن الكريم عن معنى الخفاء خلصت إلى أنه لا يوجد اختلاف بين معانيها فكلها تدور حول الستر والكتمان.

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ٢١٤/١١.
(٢) المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ١٢٧/٣– ١٢٨ .
(٣) الدر المصون، السمين الحلبي، ٥١٤/٦.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٩/٢٠.
(٥) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى ، وجلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ص٥٠٣.

المبحث الرابع
معنى القرآن لغة واصطلاحاً

أولاً: معنى القرآن لغةً:

قرأت الشيء قرآناً: أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض، ومنه قولهم: وقرأت الكتاب قراءة وقرآناً، ومنه سُميَ القرآن. وقال أبو عبيدة: سُمِي القرآن لأنه يجمع السور فيضمها، وقيل: لأنه جامع لثمرة جميعّ العلوم الكونية، والكتب السماوية، لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلَ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقيل: لأنه جمع السور المئة والأربع عشرة[١]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، أي: جمعه وقراءته[٢].

وذكر الزبيدي بأنَّ القرآن هو: التنزيل العزيز، أي: المقروء المكتوب في المصاحف، وإنما قدم على ما هو أبسط منه لشرفه[٣].

اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ القرآن لكنهم اتفقوا على أنه اسم وليس بفعل ولا حرف، وهذا الاسم شأنه شأن الأسماء في العربية، إما أن يكون جامداً أو مشتقاً.

فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي، إلى أنه اسم جامد غير مهموز به قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. وذهبت طائفة إلى أنّ هذا الاسم مشتق ثم افترقوا فرقتين:

فقالت فرقة منهم: إنَّ النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقاً من مادة (ق، ر، ن) ثم اختلفوا:

(١) انظر: مادة (قرأ) في لسان العرب، ابن منظور، ١٢٨/١، الصحاح، الجوهري، ٦٧/٢.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦٥/١.
(٣) تاج العروس، الزبيدي، مادة قرأ، ٣٦٣/١.

١ ـ **وقالت طائفة منهم الأشعري**: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينها، ومنها سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قِران.

٢ ـ **وقالت طائفة منهم الفراء**: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأنَّ آياته تشبه بعضها بعضاً.

وقالت فرقة منهم : إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضاً إلى فرقتين:

١ ـ **قالت طائفة منهم اللحياني**: إنَّ القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتق من قرأ بمعنى تلا سمي المقروء تسمية المفعول للمصدر. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، أي قراءته[١].

٢ ـ **وقالت طائفة منهم الزجاج**: إنه وصف على وزن (فُعْلان) مشتق من القرء بمعنى الجمع ، ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه[٢]. قال ابن الأثير: وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات، والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران[٣].

ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريفه، فمنهم من أطال في التعريف وأطنب بذكر جميع خصائص القرآن، ومنهم من اختصر وأوجز، ومنهم من اقتصد وتوسط، وأقرب هذه التعريفات وأشملها أن يقال فيه: (إنه كلام الله تعالى، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز باللسان العربي، المتحدى به، المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المنقول بالتواتر، المتعبد

(١) البرهان في علوم القرآن، السيوطي، ١/٨٧.
(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/٢٧٨.
(٣) دراسات في علوم القرآن، فهد بن سليمان الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م- ١/١٧- ١٨.

بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس)[1]، وهذا في رأيي هو الأرجح والأشمل.

المبحث الخامس

آيات الخفاء في القرآن الكريم

لقد قمت بجمع الآيات التي تناولت لفظ الخفاء فوجدتها اثنتين وثلاثين مرة، وردت في ثلاثين آية، وهي:

١- قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

٢- قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [آل عمران: ٥].

٤- قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

٥- قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

٦- قال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

٧- قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

٨- قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ﴾ [النساء: ١٤٩].

٩- قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

١٠- قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

(١) أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤ م، ١/٤٢١.

١١- قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ [الأنعام: ٦٣].

١٢- قال تعالى: ﴿ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً ﴾ [الأنعام: ٩١].

١٣- قال تعالى: ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

١٤- قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ﴾ [هود: ٥].

١٥- قال تعالى: ﴿ سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

١٦- قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

١٧- قال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً ﴾ [مريم: ٣].

١٨- قال تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

١٩- قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥].

٢٠- قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

٢١- قال تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل: ٢٥].

٢٢- قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

٢٣- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

٢٤- قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب: ٥٤].

٢٥- قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

٢٦- قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠].

٢٧- قال تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥].

٢٨- قال تعالى: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ ﴾ [الممتحنة: ١].

٢٩- قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨].

٣٠- قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [الأعلى: ٧].

المبحث السادس

تفسير آيات الخفاء

من خلال تقصي آيات الخفاء وجدت أنها تدور حول إخفاء الصدقات، وإخفاء المجادلة في آيات الله، وإخفاء ما في صدور المؤمنين من موالاة الكفار ومودتهم، وإخفاء ما في صدور ونفوس المؤمنين، وإخفاء النفاق والشرك، وإخفاء أمر الدنيا والآخرة، وإخفاء القول والعمل، وإخفاء النداء أو (الذكر الخفي) وهي كالآتي:

أولاً: إخفاء الصدقات:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

يقول الطبري في معنى هذه الآية: إن تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعم الشيء، وإن تستروها فلم تعلنوها وتعطوها الفقراء في

السر، فإخفاؤكم إياها خير لكم من إعلانها، وذلك في صدقة التطوع[1]. وعن علي، عن ابن عباس: (فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفاً، وكذلك للفرائض والنوافل جميعها في الأشياء كلها، وحديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله، ومنهم (ورجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله، ما تنفق يمينه)[2]، (صدقة السر، تطفئُ غضب الرب عز وجل وتدفع ميتة السوء)[3].

واختلفوا في الزكاة: جعل الأفضل إسرارها أم إظهارها: فروى عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال الطبري: أجمع الناس على أن إظهار الواجب أفضل. وقيل: المراد بالآية فرض الزكاة والتطوع، وكان الإخفاء فيها أفضل في مدة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ساءت ظنون الناس، بعد ذلك، فاستحسن العلماء إظهار الفرائض، لئلا يظن بأحدٍ المنع[4].

وفي هذه الآية يظهر أن الإخفاء له محاسن، وأجر عظيم عند الله وهي إخفاء الصدقات.

ثانياً: كتمان الشهادة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قال الشافعي: فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان. وهو عمله،

(١) جامع البيان، الطبري، ١٤/٥.
(٢) أخرجه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة.
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (٩٤٧)، ٥١٣/١، وفي المعجم الكبير، حديث رقم (١٠١٨)، ٤٢١/١٩.
(٤) روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. ، ١٩٢/١.

وهو رأس الإيمان[1]. وقال الطبري التأويل في هذه الآية لله ملك كل ما في السماوات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه من شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرفه، وإنما عني بذلك جلَّ ثناؤه كتمان الشهود الشهادة، يقول: لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يفجر قلبه، ولن يخفى عليَّ كتمانه، وذلك لأني بكل شيء عليم، وبيدي صرف كل شيء في السماوات والأرض وملكه، أعلمه خفي ذلك وجليَّهُ، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد جاءكم محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيراً مما كنتم تكتمونه الناس ولا تبينونه لهم مما في كتابكم. وكأن فيما يخفونه من كتاب فبيَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: رجم الزانين المحصنين، وقيل إنَّ هذه الآية نزل في تبيين رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس من إخفائهم ذلك من كتابهم ذكر من قال ذلك، عن ابن عباس رضي الله عنهما – قال من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب ، فكان الرجم مما أخفوا[3].

ثالثاً: إخفاء المجادلة في آيات الله والتكذيب بها:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾ [آل عمران: ٥].

(١) تفسير الإمام الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن عبد المطلب، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران (رسالة دكتوراة) دار التدمرية ، السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، ٤٦٠/١.

(٢) المرجع نفسه ، ١٣٠/٥.

(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٦٢/٨ ، تفسير ابن رجب الحنبلي، ٤٢١/١.

يقول الطبري: القول في تأويل هذه الآية، يعني بذلك جلَّ ثناؤه أنَّ الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض، ولا شيء هو في السماء، يقول: فكيف يخفى عليّ يا محمد، وأنا علام جميع الأشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه؟!!(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠].

قال السمرقندي في معنى هذه الآية: قال مقاتل: (إنَّ الذين يميلون عن الإيمان بالقرآن، أو يميلون في آياته بالتكذيب لا يقدرون على أن يهربوا من عذابنا، ولا يستترون منا(٢).

رابعاً: إخفاء ما في صدور المؤمنين من موالاة الكفار ومودتهم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩].

يقول الزمخشري: إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار، أو غيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه، وهو الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، لا يخفى عليه من شيء قط، فلا يخفى عليه سركم وعلنكم، فهو قادر على عقوبتكما(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

نزلت هذه الآية في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم والآية تدل على النهي عن

(١) المرجع السابق، ٥/١٨٥.
(٢) بحر العلوم، السمرقندي، ٣/٢٢٨.
(٣) الكشاف، الزمخشري، ١/٣٨٠.

موالاة الكفار بوجه من الوجوه، أي تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم، تسرون إليهم الأخبار بسبب المودة والله لا يخفى عليه من أحوالهم شيء فقال ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾ أي : بما أضمرتم وما أظهرتم[1].

وفي قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾ [الأنعام: ٩١].

قال الآلوسي: أي تظهرون ما تحبون إبداءه منها وتخفون كثيراً مما فيها كنعوت النبي صلى الله عليه وسلم، وآية الرجم وسائر ما كتموه من أحكام التوراة[2].

خامسا: إخفاء ما في صدور و نفوس المؤمنين:

وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. يقول الطبري في تأويل هذه الآية، ألا تخفى على الله منكم خافية، لأنه عالم بجميعكم، محيط بكلكم[3].

والخافي: الجن، وقيل الإنس، والخافية: ما يخفى في البدن من الجن، يقال: به خفية: أي لمم ومسٌ.

والخافية والخافياء كالخافي والجمع من كل ذلك خوافٍ، والخافي إذا عنوا به الجن فهو من الاستتار، وإذا عنوا به الإنس فهو من الظهور والانتشار. وأرضٌ خافية: بها جن. والجن سُموا بذلك لاستتارهم عن الأبصار. والخوافي ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت. وواحدتها خافية. وكل ذلك من

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر ، بيروت، ٦/٢١٠.
(٢) روح المعاني، الآلوسي، ٣/٦٣.
(٣) المرجع نفسه، ٢٤/٣١٦.

الستر. والخفية بئر كانت عادية فاندفنت ثم حفرت. والخِفاء: رداءٌ تلبسه المرأة فوق ثيابها وكل شيء غطيته بشيء من كساء أو نحوه فهو خفاؤه، والجمع الأخفية[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

أي تعلم النفوس كلهن كل شيء أخفى لهم، أي ما ادخر لها من عظيم النوايا، أخفاه الله من جميع خلائقه، لا يعلمه إلا هو[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

أي: وتضمر يا محمد في نفسك ما سيظهره الله، وهو إرادة الزواج بزينب بنت جحش، لحكمة عظيمة جليلة وهي إبطال حكم التبني الذي كان شائعاً في الجاهلية[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

عن الربيع بن أنس في قوله في هذه الآية: ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا من ألسنتهم، وروي عن قتادة أنه قال: أكبر مما بدا من ألسنتهم[4].

سادساً: إخفاء وإضمار النفاق والشرك:

وذلك في قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ [النساء: ١٠٨].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٤/٢٨٤.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٨/٢٦٢، تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/٤٢١.
(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، ٣/٤٣.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، ٣/٧٤٤.

يستخفون من الناس القلب على قلوبهم رؤية الخالق ولا يشعرون أن الحق مطلع على قلوبهم ، أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة[1].

كذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

يقول جلَّ ثناؤه : ألآ إنَّهم يطوون صدورهم على الكفر ليستخفوا من الله، ثم أخبر تعالى أنه لا يخفى عليه سرائرهم وعلانيتهم، وقال آخرون: كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً[2].

سابعاً: إخفاء أمر الدنيا والآخرة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

(وخفية) يعني: في خفض وسكون في حاجاتكم من أمر الدنيا والآخرة[3].

وفي قوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨].

قال الرازي: المراد من الآية: أنه ظهر لهم في الآخرة ما أخفوه في الدنيا وقد اختلفوا في ذلك الذي أخفوه على وجوه:

الأول: قال أبو روق: إنّ المشركين في بعض مواقف القيامة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين، فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر، فذلك حين بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، قال الواحدي: وعلى هذا القول

(١) لطائف الإشارات ، القشيري، ٣٦٠/١.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٣١٩/١٢.
(٣) تفسير بن أبي حاتم، ١٤٩٩/٥ .

أهل التفسير.

الثاني: **قال المبرد**: بدا لهم وبال عقائدهم وأعمالهم وسوء عاقبتها، وذلك لأنَّ كفرهم ما كان بادياً ظاهراً لهم، لأنّ مضار كفرهم كانت خفية، فلما ظهرت يوم القيامة لا جرم قال الله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ﴾.

الثالث: **قال الزجاج**: بدا للأتباع ما أخفاه الرؤساء عنهم من أمر البعث والنشور. قال والدليل على صحة هذا القول أنه تعالى ذكر عقبيه ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. وهذا قول الحسن.

الرابع: **قال بعضهم**: هذه الآية في المنافقين، وقد كانوا يسرون الكفر ويظهرون الإسلام، وبدا لهم يوم القيامة، وظهر بأن عرف غيرهم أنهم كانوا من قبل منافقين.

الخامس: قيل بدا لهم ما كان علماؤهم يخفون من جحد نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته في الكذب والبشارة به، وما كانوا يحرفونه من التوراة مما يدل على ذلك[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [طه: ١٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، يقول: لا أظهر عليها أحد غيري ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ (أكاد أخفيها من نفسي) يقول: لأنها لا تخفى من نفس الله أبداً[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

قال الزحيلي: نهى الله تعالى عما يكون وسيلة أو ذريعة إلى الفتنة ولا يجوز للمرأة أن تدق برجليها في مشيتها، ليعلم الناس صوت خلاخلها لأنه مظنة

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٢/٥١٠.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم – محققاً، ٧/٢٤١٨– ٢٤١٩ .

الفتنة والفساد، ولفت الأنظار، وإثارة مشاعر الشهوة، وإساءة الظن بأنها من أهل الفسوق، فإسماع صوت الزينة كإبدائها وأشد، والغرض التستر. وهذا يشمل كل ما يؤدي إلى الفتنة والفساد كتحريك الأيدي بالأساور، وتحريك الجلاجل (المقصات) في الشع، والتعطر والتطيب، والزخرفة عند الخروج من البيت، فيشم الرجل طيبها، ويفتتنون زخارفها[1].

وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٤].

يقول الطبري القول في تأويل هذه الآية، (إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك فما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لأتزوجن زوّجته بعد وفاته، (أَوْ تُخْفُوهُ) يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) يقول: فإنَّ الله بكل ذلك وغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على ذلك جميعه)[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥].

يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقته كما ترى المحبوس للقتل ينظر إلى السيف[3].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

(١) التفسير المنير، الزحيلي، ٢٢١/١٨.
(٢) جامع البيان، الطبري، ٣١٧/٢.
(٣) التفسير الوسيط، الطنطاوي، ٤٦/١٣، الكشاف، الزمخشري، ٢٣١/٤.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية، (يعلم كل خفية في السماوات والأرض) ، وعن عكرمة قال: (الخبء السر)، وعن مجاهد قال: (الغيب) ، وروي عن سعيد بن جبير وقتادة مثل قول عكرمة، وعن مجاهد قال : (الغيث): وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : (خبءُ السموات والأرض، ما جعل فيها من الأرزاق والقطر من السماء والنبات من الأرض).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يقول: (يعلم ما عملوا بالليل والنهار). وعن الحسن قال : (في ظلمة الليل ، وفي أجواف بيوتهم)[1]. وقال ابن عجيبة عطف على (يخرج) إشارة إلى أنه يخرج ما في العالم الإنساني من الخفايا، كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا)[2].

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٧].

يقول الطبري: القول في تأويل قوله في هذه الآية يقول تعالى ذكره : إنّ الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ما أظهرته وأعلنته (وَمَا يَخْفَى) وما يخفى منه ولم تظهره، مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك، سرها وعلانيتها، يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حالٍ من أحوالك بغير الذي أذن لك به[3].

ثامناً: إخفاء القول والعمل:

ومنها قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

(١) تفسير بن أبي حاتم، ٢٨٦٩/٩.
(٢) البحر المديد، ابن عجيبة، ١٩٠/٤.
(٣) جامع البيان، الطبري، ٢٣١/٢٣.

يقول السمرقندي في تفسير هذه الآية: سواء عند الله من أخفى العمل، ومن أعلن بالعمل، ومن في ظلمة الليل، ومنصرف بالنهار في حوائجه، أي: المختفي والظاهر عند الله سواء. وقال مجاهد : المستخفي بالمعصية، والسارب يعني: الظاهر بالمعاصي له حافظات يحفظونه بأمر الله حتى ينتهوا إلى المقادير[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

قال السمرقندي في معنى هذه الآية، ربنا إنك تعلم ما تخفي من الوجد بإسماعيل وهاجر، والحب لهما، وما نعلن عند سارة من الصبر عنهما ، ولا يذهب على الله من عمل أهل السماء والأرض، قال بعضهم هذا كلام إبراهيم، وقال بعضهم: هذا كلام الله تعالى[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: ٧].

فالمخاطبة بـ (تجهر) لمحمد صلى الله عليه وسلم وهي مراد بها الناس جميعهم إذ هي آية اعتبار، واختلف الناس في تفسير السر وما هو أخفى منه ، فقالت فرقة : هو الكلام الخفي الخافت كقراءة السر في الصلاة، و (الأخفى) هو ما في النفس. وقالت فرقة: هو ما في النفس متحصلاً ، و(الأخفى) هو ما يكون فيه من المستأنف. وقال فرقة: السر هو ما في نفوس البشر وكل ما يمكن أن يكون فيها من المستأنف بحسب الممكنات من معلومات البشر، و(الأخفى) هو ما من معلومات الله لا يمكن أن يعلمه البشر البتة وهذا كله معلوم لله عز

(١) بحر العلوم، السمرقندي، ٢/٢١٩.
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢/٢٤٦.

وجل[1].

تاسعاً: إخفاء النداء:

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً﴾ [مريم: ٣].

والنداء: الدعاء والرغبة: أي ناجى ربه في محرابه فبيّن أنه استجاب له في صلاته، كما نادى في الصلاة. واختلف في إخفائه في النداء، فقيل: أخفاه من قوله لئلا يلام على مسألة الولد عند كبر السن، وهذا أمر دنيوي، فإن أجيب فيه نال بغيته، وإن لم يجب لم يعرف بذلك أحد. وقيل: مخلصاً فيه لم يطلع عليه إلا الله تعالى. وقيل: لما كانت الأعمال الخفية أفضل وأبعد من الرياء أخفاه. وقيل: خفياً: سراً من قومه في جوف الليل. والمستحب من الدعاء الإخفاء[2].

وقال الرازي: فيه تعليم آداب الدعاء وهي من جهات أولها: قوله ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ وهو يدل على أن أفضل الدعاء ما هذا حاله ويؤكد قوله: ﴿ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، ولأن رفع الصوت مشعر بالقوة والجلادة وإخفاء الصوت مشعر بالضعف والانكسار وعمدة الدعاء الانكسار والتبري عن حول النفس وقوتها والاعتماد على فضل الله وإحسانه نداءً خفياً. وثانيها: أن المحتسب أن يذكر في مقدمة الدعاء عجز النفس كما في قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، ثم يذكر كثرة نعم الله عليه. وثالثها أن الدعاء لأجل شيء متعلق بالدين لا بمحض الدنيا كما قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً﴾ [مريم: ٥]،

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣٧/٤.
(٢) تفسير القرطبي، ١١/ ٧٦.

ورابعها: أن يكون الدعاء بلفظ يا رب على ما في هذا الموضع [1].

وإخفاء الدعاء كذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾ [النساء: ١٤٩].

يقول القشيري في تفسير هذه الآية (إن تبدوا خيراً فتحسنوا إلى الناس، أو تخفوه بأن تدعوا لهم في السر، أو تخفوا عن سوء إن ظلمتهم، ويقال من أحسن إليك فأبدِ معه خيراً جهراً، ومن كفاك شره فأخلص بالولاء والدعاء له سراً، ومن أساء إليك فأعف عنه كرماً وفضلاً تجد من الله عفوه عنك عما ارتكبت، فإنَّ ذنوبك أكثر ، وهو قادر على أن يعطيك من الفضل والإنعام ما لا تصل إليه بالانتصاف من خصمك وما تجده بالانتقام)[2].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣].

عن الأخفش في (خُفية وخِفية) أنهما لغتان، وأيضاً الخُفية من الإخفاء أو الخِفية من الرهب. قال الرازي: عند اجتماع الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى، وهذا الرجوع يجعل ظاهراً وباطناً، لأنَّ الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى، وهو المراد من قوله (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) فبيّن تعالى أنه إذا شهدت الفطرة السليمة والخِلقة الأصيلة في هذه الحالة بأنه لا ملجأ إلا إلى الله، ولا تعويل إلا على فضل الله، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات، لكنه ليس كذلك، فإنَّ الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة يحيل تلك السلامة إلى الأسباب الجسمانية، ويقدم على الشرك الخفي كما يسمونه

(١) مفاتيح الغيب ، الرازي، ٥١١/٢١.
(٢) لطائف الإشارات، القشيري، ٣٨٣/١.

أهل التحقيق، ولفظ الآية يدل على أنَّ عند حصول هذه الشدائد يأتي الإنسان بأمور : أولها الدعاء. وثانيها: التضرع ، وثالثها: الإخلاص بالقلب، وهو المراد من قوله (وخفية)[1].

وأضاف السمرقندي: (يكتمون ما بُيّن في التوراة ، وذلك أنهم كتموا آية الرجم وتحريم الخمر وأكل الربا ونعت محمد صلى الله عليه وسلم)[2].

وذكر القشيري: (وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بإظهار بعض ما أخفوه، وذلك علامة على صدقه، إذ لولا صدقه لما عرف ذلك ووصفه بالعفو عن كبر من أفعالهم، وذلك من أمارات خلقه إذ لولا خلقه لما فعل ذلك، فإظهار ما أبداه دليل علمه، والعفو عما أخفى برهان حلمه)[3].

الذكر الخفي:

هو ذكر الله في السر والخفاء من غير ظهور جهر ، وهو الذكر الخامل. أو هو الذكر القلبي، أي ذكر الله في الفكر أي تحميده وتمجيده وتسبيحه فكرياً، ويقابل الذكر اللساني واللفظي الذي ينطق به الإنسان الذاكر.

قال بعض العلماء : إنَّ كلمة التوحيد هي الذكر الخفي حيث إنَّ قول: (لا إله إلا الله) لا يتطرق إليه الرياء، وهو ذكر خالص، لأنَّ الذاكر يتمكن أن يذكر الله بهذا النوع من الذكر دون أن يحرك شفتيه فلا يشعر بكونه ذاكراً حتى من يراه أو يجالسه.

(١) المرجع نفسه، ٢٠/١٣.
(٢) بحر العلوم، السمرقندي، ٣٧٨/١.
(٣) لطائف الإشارات، القشيري، ٤١٣/١.

فضله:

هو من أفضل أنواع الذكر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خير الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي)[1].

وأيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : (خير العبادة أخفاها، وخير الذكر الخفي)[2].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصاياه لأبي ذر أنه قال: (يا أبا ذر، أذكر الله ذكراً خاملاً، قلت: يا رسول الله وما الذكر الخامل؟ قال هو الذكر الخفي)[3].

الخاتمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذه خاتمة هذا البحث وتشتمل على النتائج والتوصيات.

النتائج:

توصل الباحث إلى عِدةً نتائج منها:

١- أنَّ للخفاء معاني لغوية كثيرة في القرآن الكريم.

٢- بلغ عدد الآيات التي ورد فيها لفظ الخفاء (ثلاثين آية)، في اثنتي وثلاثين مرة.

٣- ورد لفظ الخفاء في القرآن الكريم تصريحاً وإشارةً وتلميحاً .

(١) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورم بن أبي فراس، ت(٦٠٥هـ) ، ط١، ١٤١٠ هـ ، مكتبة الفقهية، قم ، إيران، ٣/٢.

(٢) إرشاد القلوب إلى الصواب، الديلمي (علي بن محمد الديلمي) ، طبقه وأستشارات الشريف الرضي، ط١، ١٤١٢هـ ، ٩٣/١.

(٣) أمالي الطوسي ، الطوسي (محمد بن الحسن الطوسي: ت ٤٦٠هـ ، ط١، ١٤١٤هـ ، دار الثقافة، قم، إيران،ص ٥٣ .

التوصيات:

أوصي الباحثين ومؤسسات البحث العلمي بما يلي:

١- تناول لفظ الخفاء منفرداً في القرآن الكريم.

٢- رجوع الباحثين إلى القرآن الكريم فهو معين لا ينضب فيه كل العلوم.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢- الأساليب والاصطلاحات العربية ، أبو المنذر المناوي، المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣- أصول الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، دار الفكر ، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن عبد القادر الشنقيطي، دار الفكر ، بيروت ، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥- بحر العلوم، السمرقندي (أبو الليث نصر بن محمد إبراهيم السمرقندي)، تحقيق: د. علي محمد معوض ، د. زكريا عبد المجيد، د. عادل أحمد عبد الموجود ، دار الفكر ، بيروت.

٦- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧- البحر المديد، أبو العباس، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م- ١٤٢٣هـ.

٨- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م ، دار إحياء الكتب العربية بمصر، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

٩- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٠- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس، ١٩٩٧م.

١١- تفسر أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- تفسير ابن المنذر، أبو بكر بن المنذر، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣- تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك، دراسة وتحقيق: ملاك عبد القادر بندويش(ماجستير) ، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

١٤- تفسير الإمام الشافعي، الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن عبد المطلب)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفران، (رسالة دكتوراة) ، دار التدمرية ، السعودية ، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٥- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة ، ط٧.

١٦- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر ، بيروت.
١٧- التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ١٣٨٣هـ.
١٨- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
١٩- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، دراسات في علوم القرآن، فهد بن سليمان الرومي ، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠- التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، محمد الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية ، ط٢، مزيدة ومنقحة ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢١- التفسير الواضح ، محمد محمود الحجازي، دار الجيل ، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ.
٢٢- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، الفجالة ، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.
٢٣- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٤- جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٥- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر)، تحقيق: أحمد البردوس ، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٦- الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي ، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ط٢

٢٧- جمهرة اللغة، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م، بيروت.

٢٨- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم ، دمشق.

٢٩- روائع التفسير، ابن رجب الحنبلي، جمع وترتيب أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة ، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠- روح المعاني، إسماعيل حقي بن مصطفى، دار الفكر ، بيروت.

٣١- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٣٣- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

٣٤- صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٥- في مجالس التفسير من كلام الخبير (تفسير ابن باديس) ، عبد الحميد محمد بن باديس، المحقق: علّق عليه وخرّج آياته وأحاديثه : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٦- القول السديد على التجويد، على الله بن علي أبو الوفاء، دار الوفاء- المنصورة، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٧- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: د. مهدي المخزومي ، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٣٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٩- اللباب في علوم الكتاب، أبو جعفر الدمشقي، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٠- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤١- لطائف الإشارات (تفسير القشيري) ، عبد الكريم بن هوازن القشيري، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط٣.

٤٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الستار محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٣- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٤٤- المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، كتاب الهجر.

٤٥- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية
٤٦- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب ، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٤٧- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ .
٤٨- مقاييس اللغة ، ابن فارس ، المحقق: عبد السلام محمد هارون، باب (أيي) ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
٤٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ط٣
٥٠- الميزان في أحكام تجويد القرآن الكريم، فريال زكريا السيد، دار الإيمان- القاهرة.